«المهمة الكونية» الأمريكية وإفريقيا

أ. محمد العقيد محمد أحمد (*)

تُعد إفريقيا أحدث مراكز التسويق العالمية، وأغنى مصادر المعادن والطاقة والثروة النفطية، وتتمتع بأهم المواقع الاستراتيجية، من معابر تجارية وموانٍ بحرية وغيرها، تجاوز عدد سكانها مليار نسمة؛ لذلك تصدّرت وثائق السياسات، ومحاور استراتيجيات الدول ذات النفوذ في العالم، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية التي تنطلق في سياساتها نحو العالم والقارة الإفريقية، ليس فقط من مجرد مصالح عابرة، وإنما من ادّعاء مبدأ رسالي عالمي يُطلق عليه «المهمة الكونية»!

مفهوم هذا المبدأ ونشأته، ومرتكزاته التي قامت عليها السياسات الأمريكية بشأن إفريقيا في أهدافها المعلنة، ومجالاتها وآلياتها المتبعة، وما يُتوقع لها من نتائج، هو ما يسعى هذا المقال إلى التقديم له.

■ «المهمة الكونية».. حق إلهي مزعوم:

تعمل الولايات المتحدة على أن تكون كل الأوراق الأساسية في العالم بيدها؛ ففرض الهيمنة على العالم تفكير استراتيجي ينطلق منه صانعو القرار فيها على مختلف العصور؛ حيث كان المبدأ ماثلاً منذ عام ١٦٠٧م عند تأسيس مستعمرة فرجينيا، وقد «نبتت فكرة (المهمة الكونية) مع المبدأ الأساسي للطلائع الآتية من إنكلترا واسكتلندا في العشر سنوات الأولى من القرن السابع عشر؛ مبدأ كلفاني[1] « الذي يقول: إنه إن سمح الله أن يجتمع في الأرض الأمريكية شعب من رجال ونساء اختيروا من قبل الله، ذلك لأنه مُناط به (أي بهذا الشعب) مهمة حكم العالم ذات يوم. وهكذا نفهم الخطاب الموحّد لأمّة قامت عام ١٧٧٦م، وهو أن أمريكا هي النموذج الديمقراطي المختار من العناية السماوية»[2].

■ بُعد رسالي مكذوب لفلسفة «المهمة الكونية» المزعومة:

تقوم فلسفة «المهمة الكونية» على الاعتقاد بأن أمريكا مكلّفة من الله والكنيسة بمهمة التبشير، ونشر رسالة الحضارة والمدنية الأمريكية في العالم، وأن النموذج الأمريكي اختيار إلهي يُفرض على العالم كله، وتكرّس له العادات والمبادئ الأمريكية لكي يتم تطبيقها في كل مكان، كما عبّر عن ذلك بنجامين فرانكلين.

وقد كتب وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر يقول: «والاعتقاد بأن الولايات المتحدة مقدّر لها وحدها أن تكون المحرّك لنشر الديمقراطية والأسواق الحرة والحرية الفردية هو عنصر ثابت في تعاطي أمريكا للعالم»[3]، والعالم في طبيعته وسلوكه لا يخرج

(*) باحث بالرئاسة العامة للإفتاء - دكتوراة في علوم الدعوة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) نسبة إلى «Galvin» المصلح الفرنسي المعروف.

(٢) أمريكا المستبدة.. الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم «العولمة»، ترجمة: الدكتور حامد فرزات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠١م، ص ١٦.

(٣) السلام http://www.america.gov/st/peacesec٣ - أيلول / سبتمبر ٢٠٠٨م.

عن ذلك، حيث عبّر من قبل الرئيسان: ثيودور روزفلت (١٩٠١م – ١٩٠٩م) وودرو ولسون (١٩١٣م – ١٩٢١م)؛ بما يحمل الاعتقاد بأن مصالح الولايات المتحدة وثيقة الصلة بطبيعة الدول وسلوكها حول العالم[١].

■ الواقع المعاصر و«المهمة الكونية»:

وثائق وأدبيات حديثة:

تبرز فكرة «المهمة الكونية» قاسماً مشتركاً لوثيقتي الأمن القومي الأمريكي: الوثيقة الصادرة في ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٢م، وتلك الصادرة في ١٦ مارس عام ٢٠٠٦م؛ إذ تضعان خريطة للعالم، وتعيدان ترتيب أوضاعه دولاً وشعوباً وثقافات، بما يتوافق مع هذا المعيار لبناء الاستراتيجية الأمريكية.

تضمنت الوثيقة الأولى دعوة عدد من صنّاع القرار والتفكير الاستراتيجي في الإدارة الأمريكية للاستفادة من الظروف الناجمة عن أحداث أيلول ٢٠١١م لتكريس الهيمنة الأمريكية على العالم[٢]، والذي يُعد ساحة مفتوحة أمامها، وأن «حدود الولايات المتحدة الأمريكية هي حدود نهاية مصالحها؛ ولأن مصالحها كونية ينبغي أن تكون كذلك حدودها»؛ عبّر عن ذلك بوش الابن في خطابه في تدشين وثيقة ٢٠٠٦م – وهو ما سبق إعلانه في وثيقة ٢٠٠٢م –: «إننا نسعى إلى تشكيل العالم، وليس مجرد أن يشكلنا هو، وأن نؤثر في الأحداث من أجل الأفضل، بدلاً من أن نكون تحت رحمتها»[٣].

يقول (صمويل هينتجتون): «إن عالماً بدون سيادة الولايات المتحدة الأمريكية سيكون عالماً أكثر عنفاً، وفوضى، وأقل ديمقراطية، وأدنى في النمو الاقتصادي»[٤]، كما كانت المقولة المفضلة للصحافي الأمريكي توماس فريدمان أن: «العولمة هي الهيمنة الأمريكية، العولمة هي الأمركة».

أمريكا ترى أنها صاحبة «الشرعية الدولية» استناداً إلى «مهمتها الكونية» التي تعتقد أنها تخوّلها انتهاك القوانين الدولية

تهيئة العالم.. معايير ومرجعيات:

تحقيقاً لمبدأ «المهمة الكونية» عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تهيئة المناخ العالمي الجديد بعد نهاية الحرب الباردة، بتقديم المعايير التي تمكّن لهيمنة الإيديولوجية النيو – ليبرالية، وتكرّس لمبادئ الديمقراطية – وفق النموذج الأمريكي الذي اختارته العناية الإلهية!! – واقتصاد السوق الحر، ومبدأ عالمية حقوق الإنسان، وجعلها مرجعية مؤسسة لسلوكات العالم كله شعوباً ودولاً وأنظمة ومؤسسات، لأمركة العالم سياسياً وثقافياً واقتصادياً، مستغلة في ذلك المنظمات الدولية، والتحالفات، والشركات متعددة الجنسيات التي تهيمن عليها.

وأما أعمالها العسكرية؛ فعادة ما تكون مسوّغة بدعوى إقامة الديمقراطية، وحماية

(١) السلام أولاً – http://www.america.gov/st/peacesec، أيلول / سبتمبر ٢٠٠٨م.

(٢) شاهر إسماعيل الشاهر: أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق – ٢٠٠٩م.

(٣) عمرو عبد الكريم سعداوي: الاستراتيجية الأمريكية في غرب إفريقيا. http://www.midad.me/art/print/٢٥٣٩٣

(٤) صلاح الدين عبد القادر محمد: قراءة نفسية في ملف العولمة – ندوة العولمة وأولويات التربية، جستن (الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية) ١ – ١٤٢٥/٣/٢هـ الموافق ٢١ – ٢٠٠٤/٤/٢٢م. www.ksu.edu.sa

المواطنين والمصالح الأمريكية؛ فشعبها قد اختير من قِبل الله، ومُناط به (أي بهذا الشعب) مهمة حكم العالم، ونشر الديمقراطية والأسواق الحرة والحرية الفردية وحماية الإنسان والمجتمعات!!

■ من الحيثيات التاريخية للمهمة الكونية في إفريقيا:

إن استعباد الشعوب الإفريقية في إطار المشروع الرسالي المزعوم (المهمة الكونية) حق مشروع لأمريكا، وما يؤثّر في الجنس البشري كله شأن أمريكي؛ كما يزعم وودرو ولسون أحد أبرز زعمائها السابقين (١٩١٣م - ١٩٢١م)[١].

في ضوء ذلك ابتدرت الولايات المتحدة الأمريكية علاقاتها «الحميمة» مع إفريقيا، منذ عدة قرون خلت، بالاستنزاف البشري لإفريقيا (صيد ملايين الشبّان السود لاستعبادهم في المزارع والبيوت) الذي مكّن من التراكم البدائي لرأس المال، وتطوّره حتى مرحلة الإمبريالية[٢]، لقد كان ذلك من الجرائم التي لا يمكن أن تُنسى، وكما قال بيير سلنجر: «لقد آن الأوان لأن تنقشع الغشاوة عن الأعين؛ لكي ننظر إلى أمريكا نظرة أقل مجاملة»[٣].

■ إفريقيا و «المهمة الكونية» في الاستراتيجية الأمريكية الحديثة:

الرؤية والجغرافية الاستراتيجية:

تُعد إفريقيا أهم محاور الرؤية التي كوّنتها وثائق الولايات المتحدة لاستراتيجيتها الجديدة لتحقيق المبدأ الكوني، والهيمنة عليها هدف محوري لهذه الاستراتيجية؛ فقد نصّت وثيقة ٢٠٠٦م على أن تكون لإفريقيا أهمية أكبر في الجغرافية الاستراتيجية، وأولوية في جدول أعمال الإدارة الأمريكية؛ فالمحدّدات الثابتة، كالموقع الاستراتيجي، والثروات الطبيعية، وخطوط التجارة، تعزز أهمية إفريقيا في منظومة سياسات «الهيمنة الكونية» للولايات المتحدة؛ فلذلك نجد أن المهمة الأساسية التي حدّدها «برنامج إفريقيا»[٤] الذي تقوده «جنيفر كوك»، والذي يعمل على سدّ حاجة واشنطن الماسة لتحليل سياساتها بشأن إفريقيا، هي إدماج المنظورات الإفريقية في حوارات سياسة واشنطن، ضمن رؤاها الاستراتيجية.

الأهداف والسياسات العامة:

الأهداف «الاستعمارية الجديدة والتآمرية» وراء القيادة، كما يذكر المحلّل في «معهد جنوب إفريقيا للشؤون الدولية» كورت شيلينغر، وقد أدركت مراكز صنع القرار الأمريكي أن تحقيق الاستقرار والأمن وتدعيم فرص النمو الاقتصادي في إفريقيا من أهم الأهداف التي تحقق المعيار الأساس؛ فلا بد من سياسات لتعديل النظم وطبيعة الإنسان وسلوكه في إفريقيا، وذلك بدعم النظم التي تأخذ بمفهومات التحوّل الديمقراطي وفقاً للنموذج الأمريكي، ودفع عملية الاندماج الإفريقي في الاقتصاد العالمي، وتشجيع الاستثمارات الأمريكية في القارة، وتوفير الحماية بالنسبة لها، وإعداد النخب التي ترعى مصالحها، خصوصاً في المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للهيمنة الأمريكية على القارة؛ وهناك هدفان

(١) السلام http://www.america.gov/st/peacesec٣ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٨م.

(٢) الطاهر المعز: أفريكوم: مخطّط إمبريالي أمريكي في إفريقيا: (نشرة كنعان الإلكترونية - السنة التاسعة - العدد ١٨٦١).

(٣) أمريكا المستبدة.. الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم «العولمة»، ترجمة: الدكتور حامد فرزات - اتحاد الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠١م، ص ١٧.

(٤) انظر: http://csis.org/program/africa-program

رئيســـان (للقيادة الجديدة)، كمـــا يقول مدير القســـم الإفريقيّ في منظّمة «هيومان رايتس واتـــش» بيترمـــن، هما: تأمين تدفـــق الموارد وخصوصاً النفط، ثم مكافحة الإرهاب.

■ المجالات والوسائل:

تمتـــد سياســـات الهيمنـــة الأمريكية إلى كل المجالات الدوليـــة والثقافية والاقتصادية والسياسة والدبلوماســـية والفنية والعسكرية، ومن أبرز الأمثلة:

الشرعية الدولية:

«الشـــرعية الدولية» تعني تنظيم علاقات الدول بعضها ببعض وفقاً للقوانين والاتفاقات والأعـــراف الدوليـــة، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أنها صاحبة «الشرعية الدولية» اســـتناداً إلى «مهمتها الكونية» التي تعتقد أنها تخوّلها انتهاك القوانين الدولية إلا إذا توافقت معهـــا، يتضح ذلك في العديد من السياســـات التـــي اتبعتهـــا منذ بدء عهد التســـعينيات من القرن الماضـــي، وإصرارها على دور القوة في العلاقـــات الدولية، وميلها الحاد إلى الخطوات الأحادية الجانب، ونفورها من توقيع الاتفاقات الدولية، وخروجها من بعضها، وسعيها لتسخير المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة بمـــا يدعم مهمتها الكونيـــة ويخدم مصالحها، يقول مايكل كلاف من أعضاء مجلس العلاقات الأمريكية في واشنطون: «بعد تحرر إفريقيا لا بد من إعادة استعمارها.. والأمم المتحدة خير وسيلة لهذا»[1].

لقد «استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تصـــوغ مبادئ اكتســـبت صفـــة الإلزامية، مثـــل حق التدخـــل الإنســـاني، وحماية حقوق الإنســـان، والدفاع عن الديمقراطية، ومحاربة الإرهاب، وكلها تقنيات تدخّلية تمكّن من فرض سياســـات الأمر الواقع، وتكريس واقع الهيمنة الأمريكية»[2]، حتى أصبحت «الشرعية الدولية» وفعاليتهـــا في صياغة القـــرارات محتكرة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية.

في المجال الثقافي:

«المهمة الكونية» صياغة ثقافية شاملة لها معاييرها وقيمها التي تعمل على نشـــرها؛ ومن ثمّ صناعة ثقافة عالمية عن طريق توحيد الآراء في المســـائل العالمية وفق النموذج الأمريكي، وهي عملية هيمنة واســـتلاب ثقافي وحضاري لكل الشعوب، تهدف إلى محو ذاكرتها، ودعوتها للتخلي عـــن قيمها التقليديـــة، وأن تتبنى قيم الثقافة الديمقراطية الجديدة، مثل (المشاركة، العقلانيـــة، العلمانيـــة، المرونة، الشـــفافية، التســـامح)، وتعديـــل النظم وطبيعة الإنســـان وســـلوكه بفرض ما يُســـمى ببرنامج الإصلاح السياسي وحرية المرأة وتمكينها وعدم التمييز ضد النوع.

فالولايات المتحدة ترى «أن التنوع السياسي والجغرافي والتاريخي فـــي العادات والتقاليد والمعتقدات والقوانين والثقافات يشكّل حواجز وروادع إنسانية وأخلاقية أمام انتشارها، فكان لا بد من وضع خطط تفـــرض الرأي الواحد، وتمحـــو هوية الآخرين»[3]، صرّح الرئيس بوش، في خطابه بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٧م الذي أعلن فيه عن تشكيل القيادة العســـكرية الموحَّدة للقارة

(١) موسوعة مجلة البيان، عدد ٥٩ – ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

(٢) د. إبراهيم أبراش، بحث بعنوان: النظام الدولي والتباس مفهوم الشرعية الدولية، مركز الوفاق الإنمائي http://wefaqdev.net

(٣) أمريكا المستبدة.. الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم «العولمة»، ترجمة: الدكتور حامد فرزات – اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠١م.

الإفريقيـــة (أفريكوم)، أن من أهدافها نشـــر الديمقراطية وثقافة حقوق الإنسان[١].

الاقتصادات الإفريقية باتت مشرعة الأبواب أمام التغلغل الخارجي

في المجال الاقتصادي:

اســـتطاعت الولايات المتحـــدة الأمريكية ملء الفراغات فـــي إفريقيا بعد خروج المحتل الأوروبي منها؛ باتباع أسلوبها الجديد في إدارة الرأسمالية الذي يمكّنها من القيام بدور رئيس فـــي صياغة هياكل القـــوة الاقتصادية، ويكفل تركيـــز الثروة والرأســـمال في يدهـــا بصورة خاصة[٢]، وقد اســـتفادت من أهم المرتكزات التـــي أقامـــت عليهـــا الليبراليـــة الجديدة: «الدعـــوة المتطرفة إلى الحريـــة الاقتصادية، وإنـــكار دور الدولة في ضبـــط آليات وحركة النظـــام الرأســـمالي، والتخفيف من شـــروره الاجتماعية (خاصة في مجال التوزيع والعدالة الاجتماعية)، وتعاملها مـــع البلدان النامية من منطلق التكيّف وضرورته مع السوق الرأسمالي العالمي»[٣]، وقد اســـتغلت لذلك المؤسســـات الدوليـــة والتحالفات والمنظمات والشـــركات التي تســـيطر عليها، ومنها المؤسسات المالية الدولية، كمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، ومنظمـــة التجـــارة العالمية، وصنـــدوق النقد الدولي، والبنك الدولي.

إن سياســـات التحرر الاقتصادي والتكيّف الهيكلي التي يفرضها صنـــدوق النقد الدولي والبنك الدولي، ليســـت مجرد فرض مجموعة من سياســـات الاقتصاد الكلي على مســـتوى محلي محدود؛ إنما تمثّل مشـــروعاً سياســـياً واستراتيجية للتحوّل الاجتماعي والهيمنة على المستوى العالمي، وهي إرساء لمقومات السوق تحـــت هيمنة (صندوق النقـــد الدولي، والبنك الدولـــي، ومنظمة التجـــارة العالمية)، وتحقيق عملية الاندماج؛ إذ تتمثل الفلســـفة الأساسية لبرامج التكيّف في إقنـــاع البلدان المدينة بأن طريقها للخروج من الأزمة إنما يكون من خلال تحقيق اندمـــاج أوثق في الأســـواق العالمية، وتوجيـــه اهتمام أقل إلى الإنتاج الداخلي لتلبية الاحتياجات المحلية.

إن التأثيرات الأساســـية – مثلاً – لخطط صندوق النقد الدولي للتوســـع فـــي إفريقيا، وفرض سياســـات التكيّف الهيكلية والتحررية، عزّزت من التمكين للإيديولوجية الليبرالية على الطريقة الأمريكية، وعرّضت حقوق المجتمعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في إفريقيا للتقويض بصورة منتظمة، ووضعت اقتصاديات دولها تحت الهيمنة المســـتمرة، وتدعيماً لذلك جاءت «دعوة مســـؤولي صندوق النقد الدولي والبنـــك الدولـــي وحكومات مجموعـــة الدول السبع إلى فرض المزيد من سياسات الهيمنة، باعتمـــاد برامج تكيّـــف أكثر صرامـــة، وإلى ممارسة «رقابة» أوثق من جانب صندوق النقد الدولي على اقتصادات الدول المدينة»[٤].

كمـــا تم تطوير التعاون بيـــن البنك الدولي

(١) الأهـداف الأمريكية الإسرائيلية من السيطرة على القارة الإفريقية، أفران مؤسسة الدراسات والبحوث ----://http www.afran.ir http://natourcenter.com

(٢) التوتاليتارية الليبرالية الجديدة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠٣م، ص ٥، بتصرف يسير.

(٣) التوتاليتارية الليبرالية الجديدة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠٣م.

(٤) فانتو شيرو: تقرير عن آثار سياسات التكيّف الهيكلي على التمتع الكامل بحقوق الإنسان، مقدّم للدورة ٥٥ للجنة حقوق الإنسان التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة، February ١٩٩٩.

وصندوق النقد الدولي إلى مستوى أعلى مع إنشاء مرفق التكيّف الهيكلي في عام ١٩٨٨م؛ بغية التنسيق بصورة أوثق بين أنشطة الإشراف والإنفاذ لكلتا المؤسستين، وخصوصاً في إفريقيا جنوبي الصحراء التي يُعد مستوى جدارة بلدانها الائتمانية ضعيفاً، فنجد أنه «من أصل ٤٧ بلداً تشملها هذه المنطقة؛ فإن ثمة ٣٠ بلداً تنفّذ – أو نفّذت – برامج تكيّف يديرها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي... وتتعلق نسبة عالية جداً من مرافق التكيّف الهيكلي المعزَّز ببلدان إفريقيا جنوبي الصحراء، وبما أن معظم هذه البلدان لا يوجد لديها إلا هياكل سياسية ضعيفة جداً؛ فقد مورست عليها سيطرة مشتركة بين صندوق النقد الدولي والبنك الدولي تحت ستار تقديم المعونة، ونتيجة لذلك فإن هذه البلدان قد تنازلت إلى حدٍّ بعيد عن سيادتها لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي»[١].

وتكشف تجارب البلدان الإفريقية عن مدى الهيمنة على اقتصاديات القارة؛ إذ نجد أنه «بين عامي ١٩٨٠م و ١٩٩٠م فقط، باشر نحو ٣٨ بلداً من بلدان إفريقيا جنوبي الصحراء أكثر من ٢٥٧ برنامج تكيّف، وكان لدى معظم هذه البلدان برامج متعددة، وكان هناك ١٤ بلداً تنفّذ ١٠ برامج أو أكثر.

وبحلول نهاية العقد الثاني من التكيّف؛ نرى أن دور الدولة قد قُلّص تقليصاً شديداً، وأن قوى السوق قد أصبحت مهيمنة، وأن الاقتصادات الإفريقية باتت مشرعة الأبواب أمام التغلغل الخارجي، لا بسبب برامج التكيّف فحسب، بل أيضاً بسبب استمرار ضغط العولمة والاندماج في السوق العالمية»[٢].

إن مبدأ «الهيمنة الكونية» يقابله تهميش القارة الإفريقية، ووضع المصلحة القومية لأمريكا ومصالحها فوق مصالح الأمم والشعوب

المجال السياسي:

إن القيم الأمريكية المتمثلة في حقوق الإنسان والديمقراطية أصبحت مبادئ راسخة، تسعى الولايات المتحدة لفرضها على العالم وإفريقيا، وعلى «استراتيجية الدفاع القومي أن تنطلق من جوهر المعتقدات، وتتطلع إلى الإمكانات المتاحة لتوسيع الديمقراطية»[٣]، وفي ذلك تظهر إفريقيا الخصبة.. بمنزلة العالم الجديد، كما قال الرئيس كلينتون في خطابه في أكرا عاصمة غانا: «نريد أن نعمل مع إفريقيا وإقامة شراكة معها، (...) ينبغي الدفاع عن الديمقراطية»، وأضاف: «آن الأوان لوضع إفريقيا جديدة على خريطتنا»[٤].

تفصح وثيقة الاستراتيجية الأمنية عن نزعة فوقية في الإدارة الأمريكية، تشدّد على عدم التردد في استخدام أو توظيف تفوق أمريكا العظيم عسكرياً واقتصادياً للتأثير في سياسة المجتمعات الأخرى[٥]، كما يؤكّد كبار الساسة الأمريكيون أن الموجة الجديدة

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاستراتيجية الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠٠٢م، ص ١١.

(٤) التوتاليتارية الليبرالية الجديدة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠٣م، ص ٧٧، بتصرف يسير.

(٥) أحمد الحضرمي: تطورالاستراتيجية الأمريكية نحو العالمية.. من الماضي إلى الحاضر، قراءات سياسية، العدد ٨ – فبراير ٢٠٠٣م.

من الديمقراطية، والدفاع عن حقوق الإنسان، واقتصاد السوق، يجب أن توضع موضع التنفيذ، وعلى الولايات المتحدة أن تؤدي دوراً رئيساً في تغيير إفريقيا على الصعد السياسية والاقتصادية والتجارية.

كتب وزير الدفاع ومدير مخابرات «سي. آي. ايه» السابق «جايمس شليسينغر»: «إن هدف كلينتون هو اجتذاب إفريقيا الواقعة في جنوب الصحراء في إطار النفوذ الأمريكي»[1]، «إن واشنطن تفرض وتأمر وتقرر، وتستولي على الدول أو على الشخصيات الاعتبارية، مهدِّدة هذه الدولة بالعقوبات والأخرى بالخنق بواسطة الحظر وغيرها بالحرب الاقتصادية المدمرة، دون اعتبار لأي كان»[2].

وهي تعمل من جانب آخر على تطوير هيكلية وقدرات دبلوماسية فعالة، وترتيب أولوياتها في مواجهة الواقع الإفريقي، «على الإدارة الأمريكية الجديدة القيام بخطوات عديدة لتأمين استراتيجية متماسكة وملائمة، وتستدعي الدبلوماسية الفاعلة إعادة بناء القدرات الدبلوماسية الأمريكية في واشنطن وفي السفارات الرئيسية، ويتطلب ذلك أن توضح صراحة للكونجرس ولوسائل الإعلام ولجماعات النفوذ المصالح الأمريكية في القضاء على الصراع في إفريقيا. كما يتطلب ذلك تحديد الأولويات... وتعريف الأهداف والمعالم والحوافز والعقوبات التي يمكن أن تستخدمها الولايات المتحدة... تأمين الجاهزية الدبلوماسية. ويستدعي ذلك حشد تحالفات دولية جديدة من خلال التدخل القوي الحاد عالي المستوى مع الحلفاء الأوروبيين والأفارقة»[3].

المجال الأمني:

يُعد من أبرز محاور الهيمنة الأمريكية لإفريقيا؛ فقد هيمن الاستثمار في عمليات الأمن على مناقشات سياسة أمريكا الخارجية حول إفريقيا، وضرورة «أن تكون لدى الولايات المتحدة الأمريكية السياسة الأمنية الفاعلة للهيمنة على إفريقيا»[4].

إن السعي لإحكام السيطرة على إفريقيا، والتحكّم في توجهاتها وأمنها وثرواتها، من خلال إحكام استيعاب واحتواء كل الدول الإفريقية تحت العباءة العسكرية الأمريكية؛ حوَّل القارة إلى مسرح لحركة نشطة وتحركات واسعة لأجهزة المخابرات، ووزارة الدفاع والأمن القومي، وبعثات المراقبة والتجسس، والعمليات السرية، وغيرها من المؤسسات الأمريكية المعنية الرسمية وغير الرسمية، وسلسلة من الزيارات المتلاحقة للمسؤولين، ونشأ عن ذلك تكثيف الوجود العسكري الأمريكي في مناطق إفريقيا المختلفة، كما أن برنامج إفريقيا يقوّم كيف يمكن للولايات المتحدة بالاشتراك مع وكالاتها المدنية الأخرى أن تستخدم القيادة التي أُنشئت حديثاً في إفريقيا للتصدي للتحديات الأمنية المعقدة في إفريقيا.

(٧٣٧ قاعدة عسكرية للولايات المتحدة

(١) التوتاليتارية الليبرالية الجديدة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠٣م، ص ٧٧، بتصرف يسير.

(٢) أمريكا المستبدة.. الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم «العولمة»، ترجمة: الدكتور حامد فرزات – اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠٠١م.

(٣) مراجعة لسياسة الولايات المتحدة حول إفريقيا، المصدر: برنامج إفريقيا التابع لمركز الدراسات الاستراتيجية الدولية، ترجمة: مركز القدس للدراسات السياسية – ٢٠٠١/٤/٢٥م.

(٤) مراجعة لسياسة الولايات المتحدة حول إفريقيا، برنامج إفريقيا التابع لمركز الدراسات الاستراتيجية الدولية ترجمة: مركز القدس للدراسات السياسية.

= إمبراطورية عالمية): وذلك لأنها «توظف قواعدها العسكرية في تسيير الشؤون الداخلية للبلدان التي تستضيفها؛ بشكل تقوم فيه بتوجيه هذه الدول سياسياً واقتصادياً واجتماعياً عن طريق وجودها العسكري، تماماً مثلما كان يفعل (المندوب السامي) في الفترة الاستعمارية السابقة»[١].

إن مرتكزات المحور الأمني للاستراتيجية الأمريكية في إفريقيا تهدف إلى تحقيق (هيمنتها الكونية)، ومن أهم تلك المرتكزات:

١ - القضاء على الإسلام.. تحت مسمّى مكافحة الإرهاب (حسب تصورها): ويشمل الحركات الجهادية، والمناوئة للاستعمار، ما دام ذلك يتعارض مع هيمنتها الكونية، في محاضرة ألقاها د. دافيد شن سفير الولايات المتحدة السابق في أديس أبابا (أستاذ العلوم السياسية في جامعة جورج واشنطن حاليًا) أوضح قائلاً: «الخطر يكمن في أنه يمكن أن تتحول المدرستان الفكريتان السلفيتان الخارجيتان المؤثرتان بشكل خاص على القرن الإفريقي - الجهادية المستوحاة من مصر، والوهابية أو الإصلاحية المتزمتة - إلى مدرستين أكثر نضالية، وحتى أكثر عنفاً وانتشاراً، نتيجة تأثرهما بالشبكات الإرهابية كالقاعدة»[٢].

٢ - منع الصراعات والحروب بما يحقق الأمن والاستقرار وفقًا لمنظور المصلحة القومية الأمريكية: وإلا فإثارة الحروب وإدارة الصراعات، صرّح الجنرال الأمريكي جيمس جونز - أعلى مسؤول عسكري أمريكي في أوروبا - في شهر أبريل ٢٠٠٣م قائلاً: «إن الولايات المتحدة تريد زيادة تواجدها العسكري في إفريقيا للرد على ما وصفه بالتهديدات الجديدة التي يمثلها تعرّض بعض الدول لعدم الاستقرار»[٣].

٣ - إقصاء المنافسين: فقد لفت تقرير من «مفوضية المراجعة الأمنية والاقتصادية للولايات المتحدة والصين» النظر إلى أن استراتيجية الطاقة التي تنتهجها حكومة بكين تشكّل مصدر قلق إلى أمن الطاقة الأمريكية، واستخدام القوة ليس بمستبعد لإقصاء الطرف الآخر؛ كما نبّه إلى ذلك السيناتور الديمقراطي جوزيف ليبرمان في كلمة ألقاها أمام مجلس العلاقات الخارجية، تحت عنوان: سياسات الطاقة الأمريكية الصينية.. خيار التعاون أو التصادم[٤].

٤ - محاصرة النظم الإفريقية المعادية لأمريكا: إضافة لأمن المعابر والممرات، وتوفير مسرح للمناورات العسكرية، فقد أقامت أمريكا عدداً من القواعد والمشروعات العسكرية؛ منها: قوة التدخل لمواجهة الأزمات (ACRI)، وتتولى أمريكا فيها مهام التدريب وتوفير المعدات اللازمة والاتصال لتحقيق الترابط بين الوحدات في الدول المختلفة، وأحدثها «أفريكوم».

نشير هنا إلى بعض ما ورد في تصريح الرئيس بوش عن أهداف «أفريكوم»، في خطابه بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٧م الذي أعلن فيه عن تشكيل

(١) شالمرس جونسون، تقرير نشره مؤخراً في صحيفة «آلترنيت» الإلكترونية الأمريكية، http://www.aljaml.com/node/١٤٣٦٣

(٢) انظر: www.islamonline.net/servlet

(٣) خالد حنفى علي: موقع إفريقيا في استراتيجية أمريكا الجديدة، السياسة الدولية: digital.ahram.org.eg/articles..aspx?Serial=٢٢٠٩٥٦eid

(٤) انظر: i٣.makcdn.com/userFiles/j/a/janatalard/office http://webcache.googleusercontent.com/?search

القيادة العسكرية الموحّدة للقارة الإفريقية (أفريكوم)، حيث أشار بوش إلى أنها تستهدف تقوية روابط التعاون والأمن مع الدول الإفريقية، كما أنها تصنع فرصاً جديدة للشراكة مع تلك الدول لتحقيق السلام والأمن لشعوب إفريقيا، بالإضافة إلى نشر الديمقراطية، وثقافة حقوق الإنسان، وتنمية القارة اقتصادياً، وزيادة قدرة الحكومات الإفريقية في الحرب ضد الإرهاب.

يدخل في إطار هيمنة أمريكا على العالم، وتأكيد قبضتها الأمنية: العمل على حرمان من تصنفهم أعداء لها من امتلاك التقنية؛ «سنتعاون مع الدول الأخرى لكي تمنع وتحتوي وتقلل جهود أعدائنا في الحصول على التكنولوجيا الخطرة»[1].

■ التوقعات المستقبلية:

إفريقيا ينبغي أن تكون حرة:

هذا هو الموقف الإفريقي؛ عبّر عنه قادتها حينما أدانوا منهج «العقوبة الجماعية» الذي يظهر تدريجياً في العلاقة بين إفريقيا والدول في العالم المتقدم؛ محذرين من فرض معايير دخيلة على الدول الإفريقية، ومن التهديد بوقف المساعدة إذا لم يتم الوفاء بتلك المعايير، قال أوباسانجو رئيس لجنة تنفيذ مبادرة الشراكة الإفريقية الجديدة للتنمية: «إن إفريقيا يجب أن تكون حرة في التطور وتعزيز معاييرها الخاصة للحكم الجيد وحقوق الإنسان دون توجيه من الدول المانحة»[2].

وهي تفضل آليات الأمن الجماعي للاتحاد الإفريقي، مؤكِّدة «إمكانات الأمن الجماعي» للاتحاد الإفريقي، و «الآليات الإفريقية الخاصة» بالأمن، وترفض مشروعات الهيمنة والعسكرة الأمريكية، قال مفوض السلام الإفريقي، الجزائري سعيد جنيت في لقاء مع «الشرق الأوسط»، بأن الدول الإفريقية «ترفض بصفة جماعية مشروع قيام قيادة عسكرية أمريكية فوق أراضيها».

يضاف إلى ذلك الرأي العام الإفريقي المناهض لسياسة الهيمنة والتدخلات الأمريكية في عدد من دول القارة، ويكفي الإشارة إلى المظاهرات التي خرجت في كينيا وتنزانيا والكاميرون لتعبّر عن غضبها من الغزو الأمريكي للعراق.

إن مبدأ «الهيمنة الكونية»، والذي يقابله تهميش القارة الإفريقية، وإعطاء المصلحة القومية لأمريكا وتحقيق أهدافها ومصالحها الأهمية القصوى، ووضعها فوق مصالح الأمم والشعوب، لم يعد منطقاً مقبولاً، كتب سيمون وايل: «نعرف جيداً أن أمركة أوروبا بعد الحرب تشكّل خطراً بالغاً، ونعرف جيداً ما سنفقده لو تحققت هذه الأمركة، فأمركة أوروبا ستقود بلا شك إلى أمركة الكرة الأرضية كلها.. وستفقد الإنسانية ماضيها»[3].

وعملياً؛ فإن الموازنات الجديدة، السياسية والاقتصادية وغيرها، في العالم تعمل على وقف هيمنة (قوة كبرى)، وأمام القارة ما يجعلها قادرة على الانفكاك من الهيمنة الأمريكية متى ما أحسنت إقامة التكتلات الداخلية، وإدارة التحالفات الخارجية سياسياً واقتصادياً، وتنظيم المساعدات الإنمائية الخارجية، وربطها بشروط والتزامات متبادلة بين إفريقيا والمانحين، لكسر قيود التبعية والهيمنة التي تسعى الولايات المتحدة لمزيد من إحكامها، والمعطيات في صف القارة الإفريقية أكثر مما هي في صف (الدولة المستبدة).

---

(١) الاستراتيجية الأمنية، ص ٣.

(٢) انظر: مدونات مكتوب.

(٣) روجيه غارودي: الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دمشق – سوريا (نقله إلى العربية: مروان حموي).